الفصل السادس

الكنيسة المسيحية وانقساماتها

obeikandl.com

obeikandl.com

المذاهب المسيحية.الانقسامات والتحولات

لا شك أن انقسام الطوائف المسيحية يعود إلى فهم كل طائفة للعقيدة المسيحية وخاصة ما يتعلق منها بالمسيح عليه السلام وطبيعته. وقد قوى هذا الانقسام الاختراقات اليهودية المستمرة في تلك العقيدة. فلم تتوقف تلك الاختراقات بموت بولس الرسول إنما استمرت حتى وصلت أوجها بتنصيب عدد من اليهود في سدة البابوية في روما. وجاء الاختراق الأكبر على يد مارتن لوثر وابتداع المذهب البروتستانتي الذي خالف غيره في كثير من الأمور العقيدية والطقوس.

ويمكن لنا أن نصف حال الكنيسة المسيحية حسب مذاهبها وطوائفها وقدمها وجدتها فالكنائس الشرقية القديمة تنقسم إلى الكنيسة القبطية المصرية ومقرها كرسي الإسكندرية والكنيسة الحبشية والكنيسة الأرمنية والكنيسة السريانية (اليعاقبة) والكنيسة اليونانية (بيزنطية خلقدنية).

وأما الكنائس الغربية الخلقدونية الكاثوليكية فتنقسم إلى الكنيسة الرومانية أو البابوية والكنيسة المارونية والكنيسة الكاثوليكية القديمة.

وفي عام ١٥٢٩ تكونت الكنيسة البروتستانتية وهي الكنيسة اللوثرية ١٥٢٩ والكنيسة الكلفينية عام ١٥٣٩ والكنيسة الأسقفية ١٥٣٤ وتفرعت عن هذه الكنائس كنائس ثانوية هي الأدربيين (أخوة البليموث) الكويكرس (المرتعدون) والأدفينست والمانوثيت (معيدي المعمودية) الميثوديست والراسكولنك (المنشقين) والأسفانكفيلدية والأرمينوسيين.

وهناك فئات مسيحية أخرى تنكر الثالوث وهي غالباً مسيحية شرقية.

ويشكل عام ٤٥١م عام الانشقاق بين الكنائس وذلك عقب مجمع خلقدونية وإن لم يظهر هذا الانقسام كانفصال كلي في المكان فإنه يظهر بانقسام العقائد.

لقد انقسمت الكنيسة بشأن قرارات مجمع خلقدونية بين مؤيد لوجود طبيعتين للمسيح ومعارض لذلك. ولم يقتصر الانقسام على الاختلاف الفكري فقط بل تحول اختلاف الرأي إلى مظاهرات وحروب واضطهادات وأراد أصحاب كل رأي إخضاع أصحاب الرأي الآخر ولو بالقوة وتدخل الأباطرة الرومان وزوجاتهم أحياناً في هذا الخلاف مما وسّع الهوة وصار كل فريق يستعدي الإمبراطور الروماني ضد الفريق الآخر[1].

ويمكن لنا أن نستعرض أهم الخلافات التي أدت إلى انقسام الكنيسة وتصارُع أطرافها.

رفض رئيس أساقفة الإسكندرية تيموثاوس التعاليم القائلة بوجود طبيعة واحدة ممتزجة أو مختلطة مع اللاهوت. لكنه قال بوجود طبيعة واحدة في الكلمة المتجسد وحاول أن يميز بين عنصري اللاهوت والناسوت فنادى بوجود لاهوت وناسوت في شخص المسيح. وكان هذا الأسقف يرأس الحزب المونوفيزيتي الذي قاد الثورة ضد القس يوروتوريوس. وقام بهذه الثورة التي راح ضحيتها عدد كبير من الناس بسبب اعتقاده أن قرارات مجمع خلقدونية وتعاليم رسالة البابا ليون تعتبر هرطقة شنيعة وكيف لا تعتبر هرطقة وهي تخالف مفهومه وتنادي بوجود طبيعتين متميزتين وقد اعتبر بأن التعاليم التي تنادي بازدواجية الطبيعة في المسيح هي تعاليم هرطوقية لأنها تقسم المسيح الواحد والابن الواحد

---

(١) القس الدكتور حنا الخضري. تاريخ الفكر المسيحي. المجلد الرابع ص ٣.

إلى مسيحيين. وقد كان تيموثاوس لا خلقدوني متعصباً لحزبه ومتحمساً لنشر تعاليم التوحيدية يُعنى بوجود طبيعة واحدة في المسيح يسوع.

وقد أدى تمسكه بمذهبه إلى طرد بعض أو كل الأساقفة الخلقدونيين من الكنائس المصرية وتعيين أساقفة من حزبه. وحرّم مجمع خلقدونية وقرارات ورسالة البابا ليون رئيس أساقفة روما.

أدى الصراع بين الحزبين إلى اضطراب وانقسام وحرب حوالي تسع سنوات وقد انتشرت تعاليم الطبيعة الواحدة مدة زمنية طويلة وكان قد حدث اضطهاد ضد مؤيدي القول بالطبيعتين. وقد تبنى بعض الأباطرة الرومان هذه العقيدة وعملوا على نشرها وتثبيتها في إنحاء الإمبراطورية. وقد بلغ هذا المبدأ الذروة عندما تسلم الإمبراطورية المدعو يوستنيانوس. فقد ضايق كافة الوثنيين في الإمبراطورية وجلد بعضهم بالسياط وأغلق معابدهم. ولكن موقفه من اليهود كان أخف وطأة وأقل صرامة من موقفه من الوثنيين. وقد ساعدهم على ممارسة طقوسهم. وقد أراد أن يتدخل في شؤونهم الداخلية وسن قوانين وتشريعات لتنظيم حياتهم الإدارية كما فعل في الكنيسة المسيحية. على أنه لم يكن دوماً إلى جانبهم فقد منعهم من الشهادة في المحاكم ضد المسيحيين الأرثوذكس وكذلك منعهم من شغل مراكز إدارية عالية في المدينة أو الدولة.

وقد اتخذ موقفاً معادياً من اليهود السامريين إذ عاملهم معاملة الوثنيين لأنهم اتخذوا موقفاً معادياً للإمبراطور والمسيحيين. وقد قام السامريون بثورة سنة ٥٢٩ سالت فيها الدماء عزيرة وخاصة عندما أُعلن يوليانوس إمبراطوراً. وراح ضحية هذه الثورة عشرون ألفاً وسُجن عشرون ألفاً آخرون كما قاموا بثورة أخرى سنة ٥٥٥ فقتلوا عدداً كبيراً من المسيحيين وحرقوا بعض الكنائس فاستعمل معهم الجيش الإمبراطوري القسوة وعاملهم معاملة الوثنيين فطاردهم

أينما وجدوا وهدم مذابحهم[1]. وقد اضطهد الإمبراطور جماعة الأريوسيين الذين قالوا بنبوة المسيح وعدم ألوهيته وطردوا من وظائفهم وتم الاستيلاء على أموال كنائسهم وسلمت للكنيسة الأرثوذكسية وقد علق الدكتور القس الخضري على مجمل الاضطهادات المسيحية فقال:

إن الاضطهادات التي تعرض لها أتباع الشيع الأخرى المسيحية كانت قاسية وفي بعض الأحيان وحشية فاقت قسوتها وعنفها الآلام والاضطهادات التي تعرض لها اليهود[2].

على أية حال فإن انقسام الكنيسة المسيحية بدأ تقريباً منذ عام ٣٩٥ حينما قسّم الإمبراطور تيودوسيوس الإمبراطورية الرومانية قسمين غربية وعاصمتها روما وشرقية وعاصمتها القسطنطينية وبعد وفاته أصبح ابنه اروكاديوس سنة ٤٠٨ إمبراطوراً على الإمبراطورية الشرقية وصار ابنه الثاني هونوريوس إمبراطوراً على الإمبراطورية الغربية. وسقطت الإمبراطورية الرومانية الغربية بهجوم البربر عليها سنة ٤٧٦ فأعطى هذا فرصة لكنيسة روما أن تضم إلى نفوذها الديني نفوذاً سياسياً فادعت الحق أن تحكم العالم المسيحي كله ولم تقبل أن تقسم النفوذ مع كنيسة القسطنطينية وأعلنت الكنيسة الغربية أن رئيسها هو الحبر الأعظم والرئيس الروحي للجميع. ولم تقبل الكنيسة الشرقية ذلك وإن كانت فيما بعد تساهلت فاعترفت بتقديمه لها برئاسته.

ومن الأسباب الدينية للانقسام أن الإمبراطورية الشرقية كانت على صلة بالشرق مهد الديانات التوحيدية فظلت بشكل عام متأثرة بروح الشرق حيث امتنعت عن أكل الحيوان المخنوق ولحم الخنزير والدم بينما تأثرت الغربية

---

(١) الدكتور القس حنا الخضري. تاريخ الفكر المسيحي. المجلد الرابع ص ١١٥.

(٢) المرجع السابق. ص١١٦.

بالفلسفة الألمانية وبالعرق الجرماني الوثني وتأثرت الكنيسة الشرقية بالتفكير الشرقي وقد نشرت الأولى المسيحية بين الوثنيين بينما نشرت الثانية المسيحية بين أقوام قديمي عهد بالأديان. وقد أخذ الصراع بين الكنيستين يكبر عندما تساهلت كنيسة روما لتجذب الجرمان واللادينيين فأحلت أكل الدم والمخنوق وأباحت للرهبان أكل دهن الخنزير وغير ذلك مما لم تقبله الكنائس الشرقية. كل ذلك إضافة للخلاف الذي ذكرناه حول طبيعة المسيح، كان ممهداً لانقسام الكنيسة إلى شرقية وغربية.

ومن أسس الخلاف العقيدي أن الكنيسة الغربية قالت إن روح القدس نشأ عن الله الأب والله الابن معاً وقالت الشرقية إن الروح القدس نشأ فقط عن الله الأب.

وقالت الشرقية بأفضلية الإله الأب عن الإله الابن والغربية قالت بالمساواة الكاملة بين الاثنين. وقالت الشرقية بأن المسيح ذو طبيعة واحدة ومشيئته واحدة وقالت الغربية بالطبيعتين والمشيئتين.

ويتضح أن الغربية تغالي في الوثنية أكثر من الشرقية وذلك بأسباب تأثرها بالفكر الفلسفي الأوروبي وخاصة الروماني منه.

ونلاحظ الآن أن المذاهب الكنسية الثلاثة الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت هي المذاهب الرئيسية في العالم.

فالكاثوليك يسمون كنيستهم بالكاثوليكية أو الغربية أو اللاتينية أو البطرسية أو الرسولية. وتعني الكاثوليكية العموم أو العامة لأنها تدعى أم الكنائس ومعلمتها ولأنها وحدها التي تنشر المسيحية في العالم وسميت غربية أو لاتينية لامتداد نفوذها في الغرب اللاتين خاصة في إيطاليا وبلجيكا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال وسميت بالرسولية أو البطرسية لأن أتباعها يدعون أن مؤسسها الأول

هو بطرس الرسول كبير الحواريين ورئيسهم. والبابوات في روما خلفاؤه.

والكنيسة الكاثوليكية تتبع النظام البابوي ويرأسه البابا والكرادلة وهم أصحاب الحق الأول والأخير في تنظيم الكنيسة إذ يتكون منهم المجمع الكنائسي الذي يُصدر إرادات بابوية سامية هي بمثابة إرادات إلهية لأن البابا هو وكيل المسيح على الأرض وتلميذه الأكبر. ومن هنا كانت إرادته لا تقبل الجدل أو المناقشة[1].

أما الأرثوذكس فتعني الكلمة الطريق القويم أو المستقيم وهذه الكنيسة تتشدد في كثير من القضايا العقدية وتسمى كنيستهم الروم الأرثوذكسية أو الكنيسة الشرقية أو اليونانية لأن أكثر أتباعها من الشرقيين الروم وتنتشر في روسيا والبلقان واليونان لكن مقرها الأصلي القسطنطينية وقد فصلت عن الكنيسة الكاثوليكية أيام ميخائيل كارولاريوس بطريرك القسطنطينية سنة ١٠٥٤ وهي مؤلفة من عدة كنائس مستقلة وتعتبر الكنيسة القبطية الأرثوذكسية من أبرز الكنائس الأرثوذكسية ولها بابا مستقل عن روما تماماً ويرأس هذه الكنيسة الآن البابا شنوده ويخضع لها الأرثوذكس في مصر والسودان والنوبة والحبشة.

وتتبع الأرثوذكسية نظام الإكليروس ويبدأ من البطريرك ثم المطران. ثم الأسقف فالقسس أصحاب الامتياز ويسمون القمامصة ثم القسس العاديون.

وتقول الأرثوذكسية أن كنيستها هي كنيسة القديس مرقص البشير أحد التلاميذ السبعين وتدعى في الاصطلاح الكنسي كرسي الإسكندرية أو كرسي الكرازة المرقسية ومركز الرئاسة الآن في القاهرة ويلقب برئيس الكهنة البابا

---

(١) محمد فؤاد الهاشمي. الأديان في كفة الميزان. ص٤٤.

والبطريرك ورئيس أساقفة المدينة العظمى الإسكندرية[1].

وتختلف الكنيسة القبطية الأرثوذكسية عن بقية الكنائس المتبعة لهذا المذهب. لكن الاختلافات بشكل عام لا تصل حد التكفير كما جرى مع الكاثوليكية والبروتستانتية.

ومن الكنائس الأرثوذكسية:

١ ـ الكنيسة الأرمنية: وتختلف عن المرقصية في أنها تصنع المیرون المقدس بزيت السيرج وتستعمل الفطير في سر الافخارستيا. ولا تضع ماء في الكأس المقدس وتحتفل بعيدي الميلاد والغطاس في يوم واحد.

٢ ـ الكنيسة اليونانية: تختلف في طبيعة المسيح المتحدة وهو اختلاف في التعبير مع اتفاقها مع الكنيسة القطبية في دستور إيمانها وسائر عقائدها الرئيسية وهذه الكنيسة تصوم بمناسبة قتل النبي يحيى لكن أهم ما في الاختلاف أن اليونانية تؤمن بطبيعتين ومشيئتين بعكس القبطية التي تؤمن بطبيعة واحدة ومشيئة واحدة.

٣ ـ الكنيسة السريانية: ويلقب بطريرك هذه الكنيسة ببطريرك أنطاكية وسائر المشرق غير أن مقر كرسيه في ديار البكر لكنه حالياً في دمشق وتسمى هذه الكنيسة باليعاقبة أو اليعقوبية نسبة إلى يعقوب البرادعي السرياني الذي اهتم بها زمن الاضطهاد.

٤ ـ الكنيسة النسطورية: دعيت بهذا الاسم نسبة إلى نسطورس بطريرك القسطنطينية الذي حكم عليه المجمع المسكوني بأفسس عام ٤٣١ بطرده من الكنيسة لأنه قال إن المولود من القديسة مريم هو المسيح الإنسان المجرد وليس

---

(١) نشأة الطوائف المسيحية إعداد ن. ف. ع الطبعة الأولى ص ٩.

المسيح الإله المتأنس وإنه ذو قنومين وطبيعتين وبعد الحكم عليه مات عام ٤٤٠ ولحق بجماعته اضطهاد عنيف وهبروا إلى بلاد فارس والهند والصين وبلاد العرب والعراق وأسسوا كنائس نسطورية ويدعى بطريركهم بالجاثليق.

أما الكنيسة الكاثوليكية فقد تحدثنا عنها في صفحات سابقة ونشير هنا إلى أن عدة كنائس كاثوليكية انشقت عنها. منها كنيسة الكاثوليك القدماء التي انشقت عن الأصلية عام ١٨٧٠ وذلك بسبب عصمة البابا. ورفضوا عقيدة الحبل بلا دنس وأبطلوا عادة التناول من الجسد وحده ويؤمنون ببقية المعتقدات الكاثوليكية. ومنها أيضاً الكنيسة المارونية ويقطن شعب هذه الكنيسة جبل لبنان فهي وإن كانت خاضعة للكنيسة البابوية منذ عام ١٥٨٤ إلا أنها تخالفها في أمور دينية كثيرة منها:

١ ـ إباحة الزواج للكهنة الذين يسكنون القرى.

٢ ـ التناول من الشكلين أي من الجسد والدم الكريمين.

٣ ـ شعب هذه الكنيسة قبل خضوعه للبابا يعتقد بالطبيعتين والمشيئة الواحدة للسيد المسيح ولكنهم عادوا فاعتقدوا بالطبيعتين والمشيئتين كالكنيسة الكاثوليكية.

البروتستانت من الديني إلى السياسي

في عام ١٥٢٦ ظهرت كلمة بروتستانت بعد أن رسخ مارتن لوثر الألماني مفاهيم جديدة في العقيدة المسيحية الغربية. وكلمة بروتست (Proteste) وتعني يحتج ومنها اشتق الاصطلاح بروتستانت أي الذي يحتج ضد الظلم والطغيان ومن هذا التاريخ في سبيرس دُعي اللوثريون بروتستانت.

كيف نشأ هذا المذهب؟

من هو مارتن لوثر؟ وما الخلافات بين الكاثوليك والأرثوذكس من جهة والبروتستانت من جهة أخرى؟

ولد مارتن لوثر على الإغلب في عام ١٤٨٣م من أسرة ريفية فقيرة وكان أبواه كاثوليكيين وقد أنهى مارتن دراسته الثانوية في مدرسة القديس جورج بمدينة إيزتاخ بألمانيا، ثم درس في جامعة مانسفيلد الفلسفة واللغة اليونانية وكان منهج الجامعة يحتوي على دراسات للقواعد والمنطق والفلك والهندسة والميتافيزيقيا والموسيقى والتاريخ. وفي هذه الدراسة تعرف لوثر على كتابات كتّاب القرون الوسطى مثل توما الأكويني وسكوتس وبونافنتيرا. ويرى البعض أن لوثر رأى الإنجيل والتوراة أول مرة في جامعة أورفرت وقد أعجب بقصة النبي صموئيل الموجودة في العهد القديم. على الرغم من أن الكنيسة الكاثوليكية كانت تمنع العامة والمثقفين العلمانيين من الإطلاع عليه. وقد ظهر بعد ذلك أن مارتن كان مشدوداً للكتاب المقدس وإلى الدين كما كان في الوقت نفسه يخاف ويرتعب من الموت وكان يرتعب كلما ذُكر الدين أمامه وتثار مشكلته.

واستقال مارتن من الجامعة التي درّس فيها زمناً قصيراً ودخل الدير عام ١٥٠٥ وترهب حيث كان الناس في تلك القرون ينظرون إلى الرهبان بكثير من الاحترام والتقدير. وقيل إنه كان راهباً مثالياً لأنه كان يبحث عن خلاص لنفسه وبعد مرور حوالي سنتين صار مارتن راهباً. وعلى إثرها عاد إلى التدريس في فيتمبرغ وكان يدرّس اللاهوت. وواصل تدريسه في جامعة فيتمبرغ في مادة اللاهوت والكتب المقدسة. وأثناء ذلك اكتشف عقيدة التبرير بالإيمان. وفي سنة ١٥١١ عُين أستاذاً في جامعة فيتمبرغ وفي هذه الأثناء بدأ يحس لوثر بثقل التعاليم اللاهوتية القاسية. وقد أصبحت كلمة بر في عيني لوثر تشمئز منها نفسه لدرجة أنه قال: لقد كرهت هذه الكلمة ويقول: لقد فهمت عبارة بر الله بمعنى أن الله بار وبما أنه بار فهو يعاقب الخطاة والاثمة ولهذا نرى لوثر يذهب إلى أبعد من ذلك حينما قال لم أستطع أن أحب هذا الإله البار المنتقم بل كرهته وكنت أقول لنفسي ألم يكتف الله بأن يحكم علينا بالموت بسبب خطية آبائنا. ألم يعذبنا بناموسه القاسي علينا حتى يضيف إلى آلامنا آلاماً أخرى بإنجيله الذي يعلن فيه بره وغضبه وثورته[1].

وتبدأ ثورة لوثر ضد الكاثوليك عندما انتشر مرة أخرى مفهوم صكوك الغفران الذي ابتدعه بابوات الكنيسة الكاثوليكية.

وقبل أن نتبين ملامح ثورة لوثر ضد الكنيسة الكاثوليكية نتوقف لنعرف ونتعرف على صكوك الغفران ومحتوياتها وما يسمى ذخائر القديسين.

ففكرة صكوك الغفران لم تكن جديدة في عصر لوثر أي بداية القرن السادس عشر إنما يعود تاريخها إلى زمن الحروب الصليبية حين منح بعض البابوات هذه الامتيازات إلى الذين كانوا يذهبون إلى الحرب ضد المسلمين في

---

(١) القس حنا الخضري. مارتن لوثر ص ٥٤.

المشرق العربي.

تقوم نظرية صكوك الغفران على أن بعض القديسين يقومون بأعمال حسنة كثيرة أكثر من المطلوب منهم وتزيد عن حاجتهم. وهذا ما كانت تسميه الكنيسة بحسنات القديسين الزائدة. وتودع هذه الحسنات في بنك الكنيسة وهي ملك لها وللكنيسة الحق في توزيعها متى تشاء. لذلك كان يمكن للكنيسة أن تبيع هذه الأعمال الحسنة الزائدة لمن هم في حاجة لها. على أن هذا المفهوم قد تغير وأصبحت صكوك الغفران تجارة رابحة شائعة لجأت إليها الكنيسة في ظروف كثيرة كلما احتاجت للمال بل تطورت الفكرة حتى أن بعض الدول والأمراء استعملوها لابتزاز المال.

ويتصل بمفهوم صكوك الغفران مفهوم ذخائر القديسين. أي جمع بقايا من القديسين أو بقايا من أمتعتهم. وقد شرع بعض البابوات صكوك غفران لمن يزور هذه البقايا حتى أن بعض الملوك الأوروبيين جمعوا مثلاً أسناناً لبعض القديسين ففي عام ١٤٣٩ عندما ذهب الملك فريدرك الثالث بزيارة إلى القدس أحضر معه كمية كبيرة من هذه الذخائر ويقال إنه أحضر معه أسنان القديس جيروم وأجزاء من جسد يوحنا وشعرات من شعر مريم. وراحت الكنيسة تجمع هذه الذخائر حتى وصل عددها عام ١٥١٨ إلى أكثر من ١٧ ألف قطعة وقد استخدمت الكنيسة هذه الذخائر كوسيلة لجمع أكبر قدر من المال.

وعندما جلس ليون العاشر على عرش البابوية أصدر قراراً عام ١٥١٥ ببيع صكوك الغفران لبناء المباني الفخمة ولتمويل المشاريع الضخمة. وكان معروفاً عنه أنه كان من عائلة آل يتشي العريقة وقد تمسك بحياة الرفاهية والبذخ وتعظيم الإسراف ولما رفضت بعض الولايات الألمانية هذا المشروع فقد عرضه البابا على ألبرت رئيس أساقفة ماينس ووعده بنصف ثمن الصكوك. وكان ألبرت يمر

بأزمة مالية لكثرة الديون عليه. وقد استطاع ألبرت أن يكون رئيساً لثلاث أبرشيات. ووصل إلى بعض المناصب بطرق غير قانونية وبدون حق ووصل إلى بعضها الآخر عن طريق الرشوة ولذلك قبل ألبرت عقد الصفقة مع البابا ليون العاشر. وتم تنفيذ ذلك وراح البابا وألبرت ببيع صكوك الغفران وجمعوا أموالاً طائلة.

من هنا بدأت ثورة لوثر وأعلن عدم موافقته على عقيدة الغفران. ولهذا السبب قام لوثر يوم ٣١/ ٨/ ١٥١٦ بتعليق ١٩٥ احتجاجاً على صكوك الغفران. وقد قاد حملة دعائية واسعة ضد صكوك الغفران.

وقد عمت احتجاجاته مما شكل خطراً على أساليب البابا الخسيسة ودفع ذلك جميع حلفائه وخاصة ألبرت ليشنوا حملة على لوثر كي يسحب احتجاجاته. ولكن دون جدوى حتى أن الكنيسة أصدرت أمرها بحضور لوثر إلى البابا ومحاكمته. واعتبر في نظر الكنيسة مهرطقاً وتكفي هذه التهمة كي ينفذ فيه حكم الإعدام حرقاً.

وبعد نقاشات حادة بين لوثر والكنيسة رأى أخيراً أن ينفصل عن الكاثوليكية نهائياً التي لم تقبل الإصلاح. وفي عام ١٥٢٠ أحرق لوثر قرار البابا بالحرمان وكتباً أخرى للبابا الذي اعتبره لوثر خارجاً عن تعاليم المسيح.

وعلى إثر ذلك انتشرت التعاليم اللوثرية بين الفلاحين في ألمانيا، بينما قام الإقطاعيون من الأمراء والنبلاء بالتضييق على كل من ينادي بالإصلاح المسيحي. مما أدى بالتالي إلى قيام ثورة دموية منذ عام ١٥٢٤ وسُفكت فيها الدماء وقُتل من الفلاحين الألوف وتقول بعض المصادر أنه راح ضحية هذه الثورة حوالي ١٠٠٠٠٠ ألف إنسان. لكن موقف لوثر نفسه تلفه الغرابة أثناء هذه الثورة فعلى الرغم من أنه كان متفقاً مع الثوار ومع كثير من مطالبهم إلا أنه وعند

احتدام المعارك انقلب ليكون مع الملك والأمراء وقال آنئذ جملته المشهورة مخاطباً الأمراء والنبلاء: (قاتلوا هؤلاء الفلاحين ككلاب مسعورة) وقيل إن هذه الجملة ستظل نقطة سوداء في تاريخ لوثر.

وتتخلص تعاليم لوثر البروتستانتية في عدة أمور يخالف بها الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية.

فمن حيث العقيدة يؤمن البروتستانت بطبيعتين للمسيح اللاهوتية والناسوتية وكل منهما منفصلة عن الأخرى. ويعتقد البروتستانت مثل الكاثوليك بانبثاق الروح القدس من الأب والابن على عكس ما تؤمن به الأرثوذكسية من أن الروح القدس منبثق من الأب وحده. والبروتستانت لا يؤمنون بأسرار الكنيسة السبعة ويوجد زواج عند كهنة البروتستانت، ولا يؤمنون بالتقليد أو التسليم الرسولي، فهم لا يؤمنون سوى بالكتاب المقدس، ولا يلتزمون بآراء الآباء وتعاليمهم، ولا يقبلون بالكهنوت ولا يعترفون بأي كهنوت للبشر ولهذا لا يؤمنون بسلطة البابا ومن شابهه، وينكر البروتستانت الطقوس والصلوات الطقسية، ولا يؤمنون بأصوام الكنيسة ولا بسر الافخارستيا فلذلك لا توجد قداسات ولا ذبيحة إلهية، ولا يؤمنون باستحالة الخبز والخمر إلى الجسد والدم ولهذا أيضاً لا يوجد مذبح في الكنائس البروتستانتية. ولا يؤمنون بالصلاة على الموتى، وليس عندهم شفاعة ولا يكرمون القديسين ولا يعتقدون بالأيقونات والصور، ولا يبنون الكنائس على أسماء القديسين ولا يتجهون إلى الشرق، وليس عندهم بخور وشموع ولا صلاة قنديل، ويؤمنون بحرية العقيدة وتنوعها وينكرون الأبوة الروحية، ولا يستخدمون رش الصليب.

على أن لوثر وأتباعه على الرغم من اهتمامهم بالإنجيل والتوراة فإنهم لا يؤمنون بسفر طوبيا وسفر يهوديت وسفر يشوع بن سيراح وباروخ وسفر الحكمة

وسفري المكابيين ويعتبرونها ممنوعة (أبو كريفا).

على أن أخطر ما في تعاليمهم إيمانهم بتفسير التوراة تفسيراً حرفياً وهذا ما يقودنا إلى الحديث عن لوثر وأتباعه والموقف من اليهود.

نشر مارتن لوثر زعيم الحركة البروتستانتية كتاباً عام ١٥٢٣ باسم (عيسى ولد يهوديا) قال فيه: (إن الروح القدس أنزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم إن اليهود هم أبناء الله ونحن الضيوف الغرباء فلذلك فإن علينا بأن نكون كالكلاب التي تأكل مما يتساقط من فتات مائدة أسيادها كالمرأة الكنعانية تماماً).

وقد استطاع اليهود تسريب الكثير من الأدبيات اليهودية إلى البروتستانتية فأصبح لوثر وأتباعه يؤمنون بأن اليهود شعب الله المختار وإنهم يكوّنون الأمة المفضلة على كل الأمم. ويرون أن هناك ميثاقاً إلهياً يربط اليهود بالأرض المقدسة في فلسطين. وأن هذا الميثاق الذي أعطاه الله لإبراهيم عليه السلام هو ميثاق سرمدي حتى قيام الساعة ويؤمنون أيضاً بربط الإيمان المسيحي بعودة المسيح بقيام دولة صهيون أي بإعادة تجميع اليهود في فلسطين حتى يظهر المسيح فيهم. وقد تم التهويد من خلال الحركة البروتستانتية ومارتن لوثر وبعد ذلك من خلال الحركة التطهيرية ولهذا نرى البروتستانتية تجعل العهد القديم المرجع الأعلى لفهم العقيدة المسيحية وبلورتها وفتح باب تفسير نصوصه أمام الجميع لاستخراج المفاهيم الدينية دون قيود كذلك اعتبرت اللغة العبرية باعتبارها اللغة التي أوحى بها الله واللسان المقدس الذي خاطب به شعبه المختار هي اللغة المعتمدة للدراسة الدينية.

من خلال ذلك تغلغل الفكر اليهودي إلى قلب الحركة الدينية حتى أن الفيلسوف اليهودي الهولندي (هو جرغر ويتوس) نشر كتاباً عنوانه حقيقة الدين

المسيحي سفه فيه التحقير المسيحي لليهودية وأبرز الجوامع المشتركة بين اليهودية والمسيحية الجديدة (البروتستانتية).

وقد تعرضت العلاقة المفتعلة بين اليهودية والمسيحية للنقد اللاذع من قبل مفكرين وكتاب مسيحيين شرقيين. وقد رأوا أن أئمة اليهود وضعوا مؤامرة سرية تهدف إلى القضاء على المسيحية بأساليب متعددة ومنها تحريف الإنجيل وقد أثبت الباحث كميل خباز أن رؤيا يوحنا وهي آخر الأسفار في الكتاب المقدس عند المسيحيين هي نبوءة كاذبة ومدسوسة. كما أنها تؤلف حلقات تلك المؤامرة.

وحقيقة الرؤيا أنها لم تكن في الأصل كتاباً واحداً كما هي اليوم بل هي عبارة عن ثلاثة نصوص مستقلة دونت على مراحل ثم أعيدت صياغتها في سفر واحد في أواخر القرن الميلادي الأول. وهذه النصوص هي:

١ ـ النص الأول: (الرسائل إلى الكنائس السبع) هو الإنجيل اليهودي النصراني الذي انتشر نحو سنة ٥٧م في كنائس غلاطية (تركيا) على يد رسل كذبة وهو الإنجيل الآخر الذي أشار إليه بولس في رسالته الشهيرة إلى أهل غلاطية ويدعو هذا الإنجيل إلى تطبيق شريعة موسى لأن خلاص الإنسان لا يتحقق بدونها.

٢ ـ النص الثاني: هو نبوءة عن قرب مجيء الدينونة بشكل رسالة منحوتة نسبت زوراً إلى القديس بولس ونشرت في كنيسة سالوينكي سنة ٥٢م وقد دحض بولس ما جاء فيها في رسالته الثانية.

٣ ـ النص الثالث: هو نبوءة قمرانية عن مجيء القيامة كتبت سنة ٦٦م والهدف منها إقناع السلطات الرومانية بأن نصارى فلسطين هم المحرضون على الثورة ضد روما.

ويتابع كميل خباز قوله: وبعد سقوط القدس سنة ٧٠م وإقصاء الصدوقيين عن الزعامة الروحية لليهود تابع الفريسيون حربهم السرية ضد المسيحية. وفي أواخر عهد الإمبراطور دوميتيان ٨١ ـ ٩٦م جمعت النصوص الثلاثة المذكورة في كتاب واحد لرؤيا يوحنا بعدما أعيدت صياغتها وصبغت بصبغة مسيحية. ومن المعروف أن انتشار الرؤيا في ذلك العهد ترافق مع موجة من الاضطهادات قامت بها السلطات الرومانية ضد المسيحيين[١].

وبعد انفصال الملك هنري الثامن عن روما اقتحمت حركة البروتستانت بريطانيا وتمركزت فيها وهناك ظهرت أول دعوة لانبعاث اليهود كأمة الله المفضلة في فلسطين على يد عالم اللاهوت اليهودي البريطاني توماس برايتمان ١٥٦٢ ـ ١٦٠٧.

ومنذ ذلك الوقت تحول ما يسمى الكتاب المقدس ـ العهد القديم ـ إلى كتاب سياسي يقوم على قاعدة العهد الإلهي بالأرض المقدسة للشعب اليهودي المختار[٢].

وإذا كان مارتن لوثر أول من أسس أفكار البروتستانت وفسر العهد القديم والجديد تفسيراً حرفياً فإن بداية القرن السادس شهدت بروز مفكر لاهوتي بروتستانتي آخر هو المدعو جون كلفن في فرنسا وكان على رأس الإنجيليين البروتستانت وقد دافع عن أفكاره وعن من يسموّن بالإصلاحيين في فرنسا. وقد بث أفكاره في العقيدة المسيحية من خلال عدد كبير من الكتب والمجلات.

---

(١) جريدة الأنوار. تاريخ ٨/ ٦/ ١٩٩٠. تعريف بكتاب اسمه الزوان في الكتاب المقدس. كميل خباز.

(٢) الأصولية الإنجيلية. محمد السماك ص٣٩ ـ ٤٠. مركز دراسات العالم الإسلامي ١٩٩١.

وأهم ما يعتقده البروتستانت أن المسيح سوف يأتي ويحكم ألف سنة على الأرض ويعتمدون على ما ورد في سفر الرؤيا الإصحاح العشرين ويرون أن الألف سنة ستكون أزمنة سلام ويرد عليه الأرثوذكس بأن المسيح سيأتي للدينونة (أي ليوم القيامة) ويتساءل الأرثوذكس ما معنى أن يملك على الأرض ألف سنة يسودها السلام ثم يعقب ذلك خراب ما معنى أن الألف سنة سنوات السلام يعقبها خراب روحي. وما فائدة ملك ألفي يعقبه كل هذا الخراب المادي والروحي. إن المسيح رفض الملك الدنيوي الأرضي وأراد ملكاً روحياً على قلوب الناس لا سلطاناً عالمياً.

ومن الملاحظ أن البروتستانت والكنائس الإنجيلية تسيطر على الولايات المتحدة وأكثر بلاد أوروبا الغربية. ونرى أن كنائسهم تنتشر في كثير من بقاع العالم كي تقوم بدور تنصير الشعوب خاصة في أفريقيا وجنوب آسيا وجنوب شرقها. وخاصة في ماليزيا وأندونيسيا وجنوب الفلبين وتايلاند وغيرهما من المناطق في العالم.

والواقع أن البروتستانتية أصبحت مذهباً جديداً قائماً على فكرة أن الإنسان خطّاء بطبعه وأن رحمة الله ممثلة في عيسى المسيح هي التي تغفر له وتعفو عنه. وقد لقي هذا المذهب هوى في نفوس الناس كبديل لحياة النسك والرهبنة للوصول لتلك المغفرة واتبع هذا المذهب آلاف الناس ثم ظهر جون كلفن بعد لوثر وأصدر كتابه الخطير (مؤسسات الديانة المسيحية) حدد بشكل نهائي الفكر البروتستانتي وإيمانه بالخطيئة الإنسانية التي لا تمحى إلا بفضل من الله وبسرعة انتشرت أفكار كلفن في فرنسا وألمانيا وهولندا وإنجلترا واسكتلندا وأخيراً في أمريكا لتتحول جميع هذه الدول إلى البروتستانتية وفقاً لأفكار جون كلفن[1].

---

(١) رحلة الإنسان مع الأديان. د. عبد الرحمن نور الدين ص١١٠ ـ ١١١.

وقد انتشرت مذاهب مسيحية أخرى منها الكنيسة الأسقفية وكانت تابعة للكاثوليكية وانفصلت عنها تماماً في سنة ١٥٣٤ أي في زمن أوج اللوثرية. وهناك جماعة تسمى أخوة البليموث أسسها الواعظ الانكليكاني (دربي) عام ١٨٤٠ وأصحابه يظنون أنهم وحدهم شعب الله المختار. وهناك جماعة تُسمى (المرتعدون) أسسها جاورجيوس فكس عام ١٦٩٠ وليس لهم طقوس محددة ولا قسوس ولا واعظ بل يقولون إنهم عندما يجتمعون للعبادة يصمتون جميعاً حتى يحل عليهم الروح القدس أو على واحد منهم فيقوم ويعلمهم الصلاة وبعض الأحيان يتنبأ وهناك جماعة السبتيين وأسس هذه الفرقة وليم ميلر في مدينة ماسا هوسيت عام ١٨٣١ وتعتقد أن مجيء الرب الثاني قد اقترب وهم يحفظون السبت وليس الأحد ويحتفلون بعيد المظال اليهودي ويحرمون أل الخنزير ويتبعون العهد القديم أكثر من العهد الجديد. ومن هذه الشيع التي ظهرت في القرون الثلاثة الماضية جماعة المثوديست وجماعة الراسكولنك (المنشقون) والمانونيت والاسفانكفيلدية والارمينيوسيين في هولندا.

أما في المشرق العربي فقد ظلت الأرثوذكسية هي السائدة حتى دخلت الكاثوليكية مصر مع قدوم الحملة الفرنسية. وفي منتصف القرن التاسع عشر دخلت كذلك البروتستانتية على يد الدكتور يوحنا هوج.

ويستخلص من دراسة الكاثوليكية والبروتستانتية أن اليهود أدخلوا فيهما الكثير من التعاليم اليهودية وكذلك أدخلوا فيهما مفاهيم وثنية. ومن يدرس مسيرة البروتستانت يرى أنهم نتاج الفكر اليهودي الذي رفض تعاليم المسيحية الأولى وحتى تعاليم الكنيسة الكاثوليكية التي نشأت قبلهم بكثير.